

الثابت الأول

عربية العراق^(١)

يخطئ من يظن أن "عربية العراق" صفة طارئة، أو أنها مجرد لون أو ثوب مستعار يستطيع العراقيون أن يرتدوه، أو يخلعوه متى شاءوا؛ لأنها صفة أو صبغة طرأت عليه - بحسب ظن هؤلاء المخطئين - بعد الفتح الإسلامى أو بعد بروز عصر القوميات؛ فالتاريخ يخبرنا أن الهجرات العربية من جزيرة العرب إلى العراق بعمره، قد بدأت قبل ميلاد المسيح - عليه السلام - ببضعة آلاف من السنين. وكانت الهجرة الثانية ٢٥٠٠ قبل الميلاد، وهؤلاء العرب الذين استقر بهم المقام فى أعماق العراق هم الذين شادوا أعظم الحضارات فى "العهد الأكدي" ثم "البابلي" ثم "الآشوري". وتعد الهجرات التى سبقت

(١) لا يحمل القول بهذا الثابت أى دعم لعنصرية أو تعصب من بعض الفئات للعرب أو لأية قومية. إذ إن هذه المشاعر السلبية نشأت بعد عصر القوميات، ثم ظهور الدول القومية، وإثارة مشاعر الانفصال والتمايز أو الأفضلية لقوم على آخرين، فنحن هنا لا نريد به أكثر من تقرير حقيقة واقعة، كمن يحمل اسماً ولا يمكن ولا يحق لمن حمل اسماً ما أن يجعل من مجرد حمله لذلك الاسم ميزة يستحق بها أن يتعالى على الآخرين، فإذا كانت عربية العراق على مستوى الواقع التاريخي والمعاصر ثابتاً من ثوابته فإن وجود الأكراد التاريخي والحاضر واقع كذلك. وكذلك بالنسبة للأعراق الأخرى، ولذلك فإننى أؤكد أن لا يؤخذ هذا الأمر مأخذاً غير ملائم، وألا يساء فهمه وعربية العربي مسئولية أكثر منها ميزة فليفهم ذلك.

الفتح الإسلامي بقليل أو صحبته، أو جاءت بعده بقليل هي الهجرات العربية الأخيرة. حيث انتشر الإسلام في كل أرجاء العراق، وتم تجديد اللغة العربية فيه وفقاً لما برزت عليه عند نزول القرآن الكريم، واتضح أثر القرآن المجيد في تطوير اللسان العربي، مما كان له أكبر الأثر - بعد ذلك - في نشأة مدرستي الكوفة والبصرة النحويتين فيما بعد، إضافة إلى وجود "مدرسة الكتاتيب العربية" في الكوفة والحيرة قبل الإسلام^(١).

لذلك فإنّ "عربية العراق" ما كانت ولم تكن قضية طارئة أو صفة عرضية لاحقة. فهي صفة لازمة وجوهرية. وعربية العراق لا تعنى ولا تسمح ولا تتسع بأى حال لأى مضمون عرقى أو عنصري، بل هي مضمون فكرى ثقافى حضارى يشمل عليه لسان خالد خلّده القرآن المجيد، وسيبقى القرآن واللسان العربى وعربية أهل ذلك اللسان أموراً متلازمة لا تنفك ولا تفصل حتى يوم الدين.

ولم يفقد العراق عربيّته، ولم ينسلخ منها لا فى حرب ولا سلم، ولا فى حالات السيادة والاستقلال ولا فى حالات الغزو والاحتلال.

فعندما سقطت بابل تحت حكم الفرس وأصبحت بلاد بابل وأشور - أى العراق - جزءاً من الإمبراطورية الفارسية، وهيمنت الدولة الساسانية على تلك الإمبراطورية كانت بلاد الرافدين قسمًا مهمًا منها بجذورها وثقافتها ولغتها. ولقد شاد الساسانيون عاصمة ملكهم الشتوية فى المدائن التى كانت تسمى (توسفون)^(٢) وتقع قريباً من بغداد العاصمة الحالية للعراق وتسمى

(١) راجع "تاريخ العرب القديم" نبيل عاقل، ص ٢٠٢، ط ٣، ١٩٨٣ م
(٢) توسفون: وتسميها بعض المصادر "طيسفون" عاصمة ساپور ذى الأكتاف الفارسى، وهى إحدى المدن التى تتألف منها "المدائن"، وقد اختلف فىمن أسسها وبناها من =

حاليًا بـ "سلمان باك" نسبة إلى الصحابي الجليل سلمان الفارسي الذي له مسجد وضريح يزار هناك. وكانت منطقة "الحيرة"^(١) في الجنوب - آنذاك - يقطنها نصارى عرب هم بنو تنوخ، وعرف ملوكهم بـ "اللخمين"^(٢) وكانوا يدينون بالطاعة للملوك الفرس وسيطرتهم، ومن أشهر ملوكهم النعمان صاحب قصر الخورنق (٤٠٠م) والمنذر الثالث (٥٥٠-٥٥٤) والذي عُرف لدى العرب باسم (ماء السماء) وولده عمرو بن هند وولد النعمان الثالث (٥٨٠-٦٠٢) وأشعر شعراء بلاطه كان الشاعر العربي المشهور النابغة الذبياني^(٣) تلك كانت حالة العراق بصورة عامة. أثناء الهيمنة الفارسية الساسانية: لم يفقد

= ملوك الساسانيين، وسقطت بأيدي المسلمين في الفتوح الأولى، وقد ذكرها ياقوت الحموي في معجم البلدان وهي تعرف "بالمدائن" ٧/٤١٣-٤١٤، وانظر أيضًا: جواد على "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام" ٢/٦٣٥.

(١) الحيرة: مدينة كانت على بعد ثلاثة أميال من الكوفة، يرى ياقوت الحموي أنها كانت على موضع يقال له التنج حاليًا، وقد زعموا أن بحر فارس كان يتصل به وبحيرة وبالقرب منها مما يلي الشرق على نحو ميل، وقد كانت الحيرة مسكن ملوك العرب في الجاهلية في زمن نصر ثم زمن لخم بن النعمان وآبائه.

(٢) اللخميون: نسبة إلى عمرو بن عدى بن نصر اللخمي في الجاهلية، وهو حي كان يسكنه ملوك العرب في الجاهلية، وملوك لخم كانوا قد نزلوا الحيرة وهم آل المنذر، والنسبة إلى ذلك لخمى. واللخم في اللغة هو اللطم، والإنسان ثقيل النفس. راجع تاج العروس، باب الميم فصل اللام، وكذلك محيط المحيط ص ٨١٢.

(٣) النابغة الذبياني (نحو ١٨ ق هـ - ٦٠٤ م) هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى من أهل الحجاز، كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فيقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارهم، وهو أحد الأشراف في الجاهلية وكان المفضل عند النعمان بن المنذر، حتى شبيب في قصيدة له بالمتجردة "زوجة النعمان" فغضب عليه، ففر النابغة إلى الغسانيين بالشام، وغاب زمنًا، ثم رضى عنه النعمان فعاد إليه.

العراق لغته العربية ولا هويته حتى في ظل احتلال مستمر كالاحتلال الفارسي الطويل (١).

وحدة العراق فرع عن عربيته:

أما عن "وحدة العراق" وتماسك أرضه وشعبه فإن التاريخ يكذب الأصوات التي تعالت منذ تحرير الكويت وتحديد المناطق المحمية وازداد ضجيجها بعد سقوط "العصاة الحاكمة للعراق" بقيادة صدام: أن العراق -بجدودية الحالية- هو تركيب طارئ من مجموعة ولايات عثمانية تم تجميعها ودمجها وتوحيدها قسراً بجهود المستعمر البريطاني؛ لأن ذلك التجميع كان في صالحه أو محققاً لمآربه، وعلى ذلك فالعراق بحدوده الحالية عراق مفتعل ومصنوع، و"وحدته الوطنية" القائمة بين هذه الولايات طارئة مفتعلة، ومن هنا فإن تفكيكها وتقسيمها على القوميات والطوائف بمساعدة المحتل أو المحرر الجديد يصبح أمراً مشروعاً ومقبولاً، بل قد يعتبره البعض عودة إلى الأصل الذي كان، أو قد يكون من المفيد أن يشجع البعض عليه، وتنطلق الدعوات إليه، وقد يعتبر السيد الجديد (المحتل) متفضلاً باقتراحه وتنفيذه. والحق أن هذا خطأ معرفي فاحش في التاريخ والجغرافيا والسياسة والدين، وخطأ في حق

(١) حكم الساسانيون بلاد الرافدين طيلة الحقبة التي بدأت باستيلاء "أردشير" على الحكم منتزعاً العرش من الفرثيين وحتى تحرير العراق على يد جيوش العرب المسلمة، واعتبر ذلك إعادة طبيعية للعراق إلى أحضان شبه الجزيرة العربية، وقد كان احتلال "أردشير" لبلاد الرافدين قد بدأ عام ٢٢٤ م. راجع: المجمع العلمي العراقي، العراق في التاريخ، بغداد، دار الحرية، ١٩٨٣م، ص ٢٥٩-٢٦٢. ويذهب "جواد علي" صاحب "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام" إلى أن صلة العرب الفعلية بالعراق بدأت في عهد الملك "ترام سن ٢٢٧٠-٢٢٢٣ ق. م" وأنه قد استولى على الأرض المتصلة ببلاد بابل، ويرجع "جواد علي" أن هذا أقدم خبر تاريخي يحدد صلة العرب بالعراق. راجع "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام" ٥٧٣/١.

العراق وشعبه بكل فصائله ، وذلك أنّ ما عرف تاريخياً باسم العراق كان أوسع بكثير من حدود عراق ما قبل (١٩٥٨م) وما قبل ثورة العشرين ؛ فالعراق تاريخياً كان يطلق على منطقتين واسعتين : منطقة " بلاد ما بين النهرين " ومنطقة الجبال الشمالية ، وقد أسس الأكديّون ذوو الجذور العربية دولة عالمية فى حدود سنة ٢٣٦٠ قبل الميلاد . وكانت حدود الدولة الأكديّة مفتوحة فضمت البلاد منذ ذلك التاريخ أو قبله بألف عام موجات من الهجرات العربية التي ساهمت فى تأسيس الدولة العالمية . هذه الهجرات كانت تندفق من شمال الجزيرة العربية إلى الجنوب على امتداد نهر الفرات ، ومن الغرب إلى الشرق عبر شمال بلاد ما بين النهرين ، ثم إلى الجنوب على امتداد نهر دجلة ، وقد استقر المهاجرون فى الأصقاع الشماليّة أول الأمر حتى إذا اكتظت وازدحمت بمن فيها أخذت الموجات التالية تتجه إلى المناطق الوسطى ثم الجنوبيّة . وتلك الهجرات كانت تأتى بشكل سلمى ، وتمتزج بذراى الموجات السابقة ، وبخلائف السومريّين أبناء البلاد الأصليّين الذين لا تتوافر وثائق كافية لتوضيح جذورهم وتاريخهم ، وإن كنت أميل إلى أنّهم لا يختلفون كثيراً عن الأكديّين . فالأكديّون لم ينشأوا من فراغ ، ولكن لقلّة الوثائق المؤكدة لصلتهم بالجزيرة العربية وقبائلها وألسنة ولهجات تلك القبائل اعتبرنا بداية " عربيّة العراق " الحقيقة من الأكديّين ^(١) .

(١) الأكديّون : أشهر ملوكهم سرجون الأكدي الذى أقام إمبراطورية واسعة الأرجاء فى وادى الرافدين عرفت بـ " الإمبراطورية الأكديّة " نسبة إلى مدينة " أكد " التى اتخذها عاصمة له . وهم من قبائل الجزيرة العربية التى استوطنت بلاد الرافدين منذ ما قبل الألف الرابع قبل الميلاد ، وقد عايشوا السومريّين وتفاعلوا معهم إلى أن استولوا على دفة الحكم وأقاموا دولتهم ، وبعد ذلك انصهرت فيهم العناصر السومرية والأمورية . راجع العراق فى التاريخ ، ص ٧٢ .

إنّ الأكديين بقيادة "سرجون ٢٣٤٠-٢٢٨٤ ق.م" كانوا أول من نادى بتوحيد الجنس البشرى وتحقيق السلام والازدهار للأرض - كلها - ونادوا بنشر الثقافة والحضارة بين البشر، وإقامة العدل والقانون.

وحين أضعفت غزوات الكوتيين الدولة الأكديّة وأدت إلى تمزيقها استطاع "العموريون" أو "الأموريون" (٢٠٠٠-١٤٠٠ ق.م) وهم الذين كانوا يتكلمون اللّغة الأكديّة وينتمون إلى ذات الأصول العربيّة - أن يعيدوا تأسيس دولة "سرجون العالمية" واتخذوا من "بابل" عاصمة لها، واستمروا كذلك إلى أن آل الأمر إلى "حمورابى ١٧٥٠-١٧٩٠ ق.م" صاحب القوانين المشهورة. وقد كان العراق فى ظل الأكديين ومن بعدهم العموريين سيد المنطقة لقرون طويلة، حيث كان العراق - آنذاك - يضم بالإضافة إلى حدوده التى استقرت بعد ثورة العشرين، سوريا ولبنان وفلسطين والأردن والأناضول. وحمورابى الذى سن القوانين المعروفة التى كان يعتقد أن إله العدالة - إله الشمس - وجّهه لضم أركان العالم الأربعة تحت سيطرته، وأن الإله "مردوخ" وهو كبير الآلهة فى "مجمع الآلهة البابليّين" قد كلفه بهداية الناس إلى طريق الحق وتوحيد البلاد وإقامة القانون والعدالة فى الأرض وتعزيز رفاهية البشر^(١).

وحين قامت الدولة "الآشوريّة" ^(٢) من القرن الرابع عشر حتى سقوط "نينوى" عام (٦١٢) قبل الميلاد حافظت على اللغة ذات الجذور العربيّة

(١) راجع الهامش السابق، وقد حكم حمورابى أو عمورابى - كما يسميه بعضهم - اثنتين وأربعين سنة من سنة ١٧٩٣ ق م - ١٧٥١ ق م، وقد وحد العراق - كله - تحت قيادته وضمن حدوداً آمنة له. راجع العراق فى التاريخ، مرجع سابق، ص ٩٤.

(٢) لقد تزامن وجود العرب فى الحيرة مع وجودهم فى الأنبار منذ عهود الساسانيين. لمزيد من التفصيل راجع: المفضل، مرجع سابق، ١٥٥/٣.

والثقافة والتراث الأكدي العربي والدين والحضارة والرسالة والقوانين دون تغيير كبير . وأعلنت أنها امتداد للدولة البابلية وآلهتها ، وحققت السيادة على جهات الأرض الأربع وأخضعت مصر - من بين ما أخضعته من بلدان - لسلطانها^(١) .

وقد استمرت بلاد ما بين النهرين فى عطائها للعالم فأعطته الخط المسمارى ، واللغة الأكديّة الحضاريّة وتراثها الأدبيّ . وحين تتبّع سائر الدول والحضارات التى قامت فى وادى الرافدين ، أو بلاد ما بين النهرين نجد حدود تلك الدول - كلها - ومنذ تسعة آلاف عام تمتد لتشمل السهل والجبل ، وأن ذلك الشعب هو نفسه شعب واحد سواء أولئك الذين كانوا يقطنون السهول أو الذين كانوا يقطنون الجبال ، وكذلك حين تم فتح المسلمين للعراق كانوا يطلقون على السهل أو الوادى الذى يشمل الوسط والجنوب وشيئاً من الجنوب الغربى "عراق العرب" ، ويطلقون على المنطقة الجبلية "عراق العجم" كعادتهم إذا أرادوا مزيداً من التعريف ، وبعض المؤرخين الذين لاحظوا آثار الحضارة "الأكديّة" المشتركة أطلقوا على سكان المناطق الجبلية من العراق "عرب الجبال"^(٢) فكان هناك عرب السهول وأرض السواد وعرب الجبال . وذلك

(١) الآشوريون : يتمنون للأصول نفسها وإلى الشجرة ذاتها التى تفرع عنها الأكديون والبابليون والأموريون والعرب ولغتهم ، وهم الأقوام الذين استوطنوا العراق منذ مطلع الألف الرابع ، وكان منبت تلك الشجرة الأولى فى شبه الجزيرة العربية مهد الأقوام الجزيريين ، ولهجتهم كانت إحدى لهجات اللغة الأكديّة ، واستخدموا الخط المسمارى أيضاً . راجع العراق فى التاريخ ، مرجع سابق ، ص ١١٩ .

(٢) هذه الدعوة ذكرها بعض الباحثين القوميين الذين أبدوا ميلاً للإنكار وجود قومية أخرى فى العراق بحجم القومية الكردية ، وهو أمر لا يقبل ، والاستدلال عليه بأن الأكراد =

يدل - بوضوح - على أن العراق لم يفقد وحدته منذ آلاف السنين إلا ضحية احتلال أو تغلغل خارجي فيه أو تقسيم مفتعل . وأن ما حدث له من تقسيمات إدارية نتيجة صراع السلاجقة والبُويهيين ثم العثمانيين والصفويين^(١) . وآثار

= يسكنون هذه المنطقة منذ ما قبل التاريخ ، وأن الهجرات العربية الأولى التي جاءت قبل نهايات العهد السومري انقسمت إلى مجموعات بعضها سكنت السهل وأخرى سكنت الجبل ، ولكنهم جميعاً ينتمون إلى السامية ، وقد يسند بعضهم دعواه هذه بأسماء القبائل الكردية ، ومحاولة إعادتها إلى جذور عربية مثل إعادة قبيلة مازوري الكردية إلى قبيلة مضر العربية وما إلى ذلك ، ولكن الناس يؤمنون على أنسابهم . ومهما يكن فالأكرد العراقيون جزءٌ من النسيج والخارطة الاجتماعية العراقية ، ومن الضروري أن يتذكر العرب والأكرد في العراق ما بينهم من وشائج القربى ، وما للكردي عليهم من أباد بيضاء في خدمة الإسلام والعروبة ، فليس هناك مسلم يستطيع أن ينسى صلاح الدين وما قدمه للأمة كلها ، وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ، وفي العصر الحديث أمير الشعراء أحمد شوقي وجميل صدقي الزهاوي ومعروف الرصافي وغيرهم . فالقاعدة التي ينبغى أن تحكم في علاقات العرب والكرد هي قوله تعالى : ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾ .

(١) السلاجقة: تسلط السلاجقة بتشجيع من الخليفة في بغداد الذي استنصر بهم على البويهيين ، وقد دخلها القائد السلجوقي من سنة ٤٤٧ هـ واستمر حكمهم حتى بدايات القرن السادس ، حيث تمكن الخليفة العباسي من الاستفادة من خلافاتهم وخلافات أمرائهم فأمر بإيقاف الدعاء للسلطان السلجوقي عام ٥١٢ هـ ، وقد انتهى حكمهم تماماً ٥٨٢ هـ في كل من العراق وإيران . العراق في التاريخ ، مرجع سابق ، ص ٤٤٤-٤٤٩ . البويهيون: هم الفرس الديلم المنسوبون إلى "بويه" الذي كان يعمل حمالاً في تلك المنطقة ، من بحر قزوين ، وحين رأى "بويه" ضعف سيطرة خليفة بغداد على تلك الأقاليم قاد الفلاحين في منطقته في حملة سيطر فيها على جبال الديلم ووسع سلطانه حتى شمل الهضبة الإيرانية كلها . وبعد وفاته خلفه أولاده الثلاثة في سلطانه ، ولما رأوا ضعف خليفة بغداد واسترخاء قبضته عليها قاد معز الدولة جيشاً نحو بغداد فاستولى عليها وأخذ مقاليد السلطة السياسية ، ولم يبق للخليفة إلا السيادة الاسمية وسلطة إدارية محدودة . ولقد استمر تسلط البويهيين على العراق من فترة معز الدولة في حدود سنة (٣٢٠ - ٤٤٧ هـ / ٩٣٢ - ١٠٥٥ م) . راجع : العراق في التاريخ ص ٤٣٩-٤٤٤ . =

صراع الدولتين خاصة العثمانية والصفوية عليه أو على أجزاء منه ، وتداولهما التسلط عليه لمرات عديدة، لم يمثل ذلك كله وضعاً عادياً أو طبيعياً يمكن أن يسمح بادعاء أن العراق لم يكن سوى ولايات عثمانية ثلاث أو أربع وحّدها الإنجليز فلا بأس من تفكيكها وتوزيعها وتفريقها من جديد، فلا التاريخ يؤيد تلك الدعوى ولا الجغرافيا ولا الدين ولا الثقافة ولا المصالح .

= العثمانيون: فى عهد السلطان سليم الذى حكم من ١٥١٢ - ١٥٢٠ اتجه العثمانيون إلى الشرق للاستيلاء على البلاد العربية ليبسطوا سلطتهم من خلال ذلك على الأمة الإسلامية - كلها - فدخلوا العراق وجعلوا منه ميداناً للصراع مع الصفويين والسلالات الحاكمة فى إيران ، وقد استمر الصراع بين الصفويين والعثمانيين فى الساحة العراقية حتى نهاية القرن التاسع عشر . وكانت آثاره على المجتمع العراقي فى غاية الخطورة . وقد دخل الصدر الأعظم بغداد فى ٢٤ جمادى الثانية ٩٤١ هـ الموافق ٣١ نوفمبر ١٥٣٤م ، وبعد يومين دخلها السلطان العثماني سليمان الذى عرف باحترامه للأماكن المحترمة لدى كل الطوائف ، وحاول إنصاف المظلومين وتوحيد الشعب من جديد . وقد تبنى الصفويون المذهب الشيعى فى حين تبنى العثمانيون المذهب السنى والفقهاء الحنفى ، وقد سببت سنوات الاحتلال الصفوى والاسترداد العثماني الكثير من الخراب والدمار فى النفسية العراقية إضافة إلى الآثار الاقتصادية السيئة التى أصابت الزراعة والصناعة والتجارة وكذلك انتشار الأوبئة والقلق الفكرى والثقافى . وقد كان الصفويون يتحكمون حرمة ضريح الإمام أبى حنيفة ، مما دفع العثمانيين فى مرحلة من مراحل سيطرتهم على العراق إلى نقل مجموعة كبيرة من عشاير العبيد السنية للسكن فى الأعظمية لحماية ضريح أبى حنيفة من اعتداء الصفويين .

الصفويون: ينتمون إلى أسرة تركمانية صوفية تنتسب إلى الشيخ صفى الدين (ت ١٣٣٤م) الذى تبنى المذهب الشيعى ، والذى امتد نفوذ طريقته بحيث تمكن أتباعه بعد فترة من السيطرة على إيران - كلها - وفى عشرين من جمادى الثانية ٩١٤ هـ فتح الشاه إسماعيل الصفوى الذى آلت إليه قيادة الصفويين بغداد . ومارس فيها الكثير من المذابح ما ذكرها بمذابح المغول ، وقد أبدى اهتماماً خاصاً بالعتبات المقدسة ومراقدة آل البيت ، وخرّب المراقدة الأخرى مثل قبر الإمام أبى حنيفة فى محاولة منه لإثارة الفرقة بين أبناء العراق ولتحقيق مزيد من الهيمنة عليهم والتمكن منهم .

استمرار عربيتة العراق دون انقطاع:

أما "عربية العراق" أو عروبتة لغة وثقافة وجذوراً فهي أصيلة ضاربة في القدم، تمتد - كما ذكرنا - إلى ما يقرب من أربعة آلاف سنة أو تزيد، وأسماء قبائله وأخاذها ما تزال محفوظة، ولعل النهب الذي حدث للمتاحف والآثار مثل الذي حدث في الغزو المغولي الأول أريد به تحطيم تلك الذاكرة التاريخية، وإتلاف وثائقها تخلصاً من آثارها وتأثيراتها وإمعاناً في قطع العراقي عن جذوره العريقة وتاريخه ليسهل استلابه وتغريبه، فعربية القرآن لم تنقطع، ولم تغب عنه في أية مرحلة من مراحل تاريخه.

العراق والفتح الإسلامي وتميز التيارات الفكرية^(١):

في العهد الإسلامي بعد الفتح أمر الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب -رضي الله عنه - عتبة بن غزوان بتأسيس مدينة "البصرة" لتكون قاعدة إسلامية على الضفة الغربية من شط العرب، وذلك سنة (١٦) للهجرة، وفي عام (١٧هـ) أمر الخليفة نفسه سعد بن أبي وقاص بتأسيس مدينة "الكوفة". وقد استقر في المصرين - بعد ذلك - العديد من الصحابة والتابعين، واتخذ أمير المؤمنين عليّ - رضي الله عنه وأرضاه - مدينة الكوفة عاصمة له، وبعد استشهاده فيها بقي الحسن - سلام الله عليه - فيها فترة الأشهر الستة من خلافته إلى أن قرر التنازل المشروط لمعاوية على أن يعيد معاوية الأمر إلى الأمة بعده، وهو الشرط الذي لم ينفذه معاوية فمنح ولاية العهد لولده يزيد، وجعلها

(١) الفتح الإسلامي للعراق وأسلمته وإحياء عربيته وتفصيل ذلك لا يخلو منها كتاب من كتب التاريخ التي تناولت فتوحات المسلمين، وكذلك الكتب والدراسات التي اهتمت بتاريخ العراق.

"كسروية هرقلية" خلافاً للاتفاق من ناحية، وخلافاً لمبادئ الشورى والرضا والبيعة وسائر المبادئ والشروط التى أرسى الإسلام دعائمها لتحقيق أهداف الأمة فى تنظيم حكمها.

وقد كانت إدارة العراق - فى تلك الفترة - قسمة بين واليين يلقب كل منهما بـ "الأمير"، أحدهما يقيم فى الكوفة، والآخر يقيم فى البصرة، وكان الأميران يتوليان إدارة العراق - كما هو فى حدوده الجغرافية اليوم وزيادة، فكان والى البصرة وأميرها يدير المناطق الجنوبية من العراق مضافاً إليها الأحواز وفارس وكرمان وسجستان ومكران وخراسان. أما أمير الكوفة فيشمل سلطانه أواسط العراق وشماله، إضافة إلى الأقاليم الشمالية من الهضبة الإيرانية بما فيها همدان وقزوین والرى وأصفهان^(١).

ولمزيد من إيضاح وتدعيم هذا الثابت من الثوابت العراقية وهو ثابت "عربية العراق ووحدته" واستمرار ذلك لآلاف السنين لا بد من دراسة حضارات وادى الرافدين قبل الفتح الإسلامى - الذى نعتبره إحياء وتجديداً لعربية العراق كما هو أسلمة له صار يعزى إليه فى العراق، وما آل إليه فى ظل الإسلام من وحدة وتقدم وازدهار وعمران^(٢).

إن العراق - لأسباب كثيرة - احتفظ بالكثير من المزايا والخصائص التى ميزته عن الأقاليم الأخرى للدولة الإسلامية، فهو مركز الحضارات القديمة

(١) لمزيد من التفاصيل راجع الفصل الثانى "إدارة العراق" من كتاب "العراق فى التاريخ" ص ٣٢١-٣٤٠ مرجع سابق.

(٢) لمزيد من التفاصيل راجع: أطلس الحضارة الإسلامية للشهيدین إسماعیل الفاروقی، ولیماء الفاروقی، رحمهما الله، الطبعة العربية، ص ٦٥-٨٠، وكذلك كتاب العراق فى التاريخ، مرجع سابق.

التي ترجع جذورها إلى آلاف السنين، وله من الصلات والوشائج بالعرب وبالجزيرة العربية وغيرها ما ليس للأقاليم الأخرى، واستيطان المئات من الصحابة وقادة الفكر والرأى فى مصره العظمين بعد الفتح الإسلامى - الكوفة والبصرة - أضافت إلى مزايه مزايأ أخرى، فليس بمستغرب - بعد ذلك - أن تنشط فيه التيارات الفكرية والسياسية التى غذتها الأحداث الكبرى المشار إليها. ولذلك بدأت فيه بدايات الفكر الفلسفى الإسلامى، ومعها بدأت تظهر الفرق والتيارات الفكرية المختلفة التى كان معظمها مزيجاً من الدين فى أكمل صورته، والعلم والعقل فى أبهى مظاهرها. وكان التنوع والتعدد من أهم مزايه^(١)، وقد اشتمل الأدب والتراث العراقيان على تراث ضخم متنوع فى قضايا احترام المخالف فى الرأى أو المعتقد أو الانتماء مما يحتاج إلى إحياء ليستفيد به العراقيون ومن سواهم، وفى العراق تبلورت آداب الحوار والجدل والمناظرة والاختلافات باعتبارها وسائل لجعل التنوع والاختلاف مصادر قوة لا مصادر ضعف.

(١) لمعرفة أهم الفرق والمذاهب والتيارات الفكرية التى نشأت فى العراق يمكن أن نجد بعضه فى الفصل الرابع من كتاب "العراق فى التاريخ" مرجع سابق، ص ٣٥٣-٣٥٦، وكذلك كتاب الدكتور على سامى النشار «نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام»، و«تاريخ المذاهب الإسلامية» لمحمد أبو زهرة.